النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي

أ.م.د حنان محمد خلف مقدادي
جامعة طيبة/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة نظرية من النظريات اللسانية الحديثة والتي ما زال أثرها واضحًا إلى اليوم في دراسات، وأبحاث علماء اللغة المعاصرين، حتى قيل أن أي نظرية لغوية لا يمكن أن تتجاهل "نظرية تشومسكي" بل إن مكانة أي نظرية لغوية، وإنجازها في حقل الدراسات اللغوية المعاصرة يتحدد بمدى صلتها "بالنظرية التوليدية التحويلية "، ولا يفوتنا أن هذه النظرية تضم ثلاثة أمور هي: أولا: لا يمكن أن نفهمها بغير تطورها من خلال فهم مراحلها، وهي سبعة مراحل استقرت في المرحلة الأخيرة. ثانيًا: يستحيل فهمها بغير تطبيقها من خلال استخدام مخطط الشجرة لهذا الغرض. ثالثًا: أنها انتهت بغير ما بدأت به عندما فصل الدلالة عن النحو، ولهذا أرتايت أن أدرسها، وأن ألقي الضوء على هذه النظرية من خلال الحديث:

١. نبذة تاريخية عن تشومسكي
٢. أهم المبادئ التي قامت عليها النظرية .
٣. المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها النظرية .
٤. تشومسكي وجهوده النحوية .
٥. مرحلة البنى التركيبية (المرحلة الأولى).

Abstract

This research aims to study the theory of theories of linguistics and modern which impact and clear still to this day in the studies, and research contemporary linguists, so it was said that any linguistic theory cannot ignore, “Chomsky’s theory," but that the status of any linguistic theory, completed in the studies field contemporary language is determined by the extent they

relate to the "theory of generative manufacturing," We shall not forget that this theory includes three things: first, cannot be understood without understanding its evolution through the stages, which are seven stages have stabilized in the last stage. Second, itis impossible to understand without the application through the use of tree diagram for this purpose. Third, it ended without what began doing when separating the significance of the way, so I thought I should Odershma, researcher has chosen to shed light on this theory by talking:

History of ChomskytheoryThe most-important principles of The basic concepts underlying theory

Chomsky and his grammatical structures compositional phase (first phase)

Keyword: Theory, generation, conversion, linguistic, competence, surface structure, deep structure

لمقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صاحب أفصح لسان سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تعددت النظريات اللسانية الحديثة، فكان منها: النظرية السياقية، والنظرية السلوكية والنظرية النزوعية وغيرها، حيث كان لكل نظرية منهجها المتميز الذي ينحو منحى بعيدًا إلى حد كبير من مناهج النظريات الأخرى، ولعل أبرز هذه النظريات "النظرية التوليدية التحويلية "التي تطورت على يد العالم اللغوي "تشومسكي" تطورًا لم تتطوره نظرية لسانية أخرى، كونها النظرية العلمية الوحيدة التي أثرت في الفكر اللغوي اللساني منذ أكثر من ربع قرن.

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي ؛ الذي يقوم على جمع

المادة ثم الوقوف على تفسيرها كلما اقتضى الأمر ذلك، وما يقتضي من مقدمات تعد ضرورية لتوطئة الموضوع.

نبذة تاريخية عن تشومسكي

ولد أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في السابع من ديسمبر عام ١٩٢٨م، وهو ينتمي إلى أسرة يهودية متطرفة سياسيًا من أصل روسي، وفي هذه الولاية تلقى دراسته الابتدائية والثانوية، ثم التحق بجامعة بنسلفانيا حيث درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة، وقد بدأ تشومسكي حياته العلمية قبل أن يحظى بشهرته الواسعة بدراسة مبادئ علم اللغة التاريخي على يد أبيه الذي كان أستاذا للغة العبرية، وكانت دراسة تشومسكي للسانيات ناجمة جزئياً عن تأثير والده به، فقد ذكر تشومسكي نفسه أنّ تجربة الطفولة عنده في المساعدة في تصحيح مسودات بعض كتب والده عن العبرية قد أوحت له بأن اللسانيات يمكن أن تلائم توجهه العقلي ، وجزئياً لمشاركته أستاذه زيلج هاريس في آرائه السياسية المتطرفة[١].

وفي جامعة بنسلفانيا أعدّ رسالته في الماجستير في العبرية الحديث، وحصل عليها عام ١٩٥١م، ومن هذه الجامعة حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٥م ، والتي كانت بعنوان (التحليل التحويلي)، ثم عين مدرسًا في معهد مساتشوستس ، ومن ذلك الحين ظل يترقى في حياته العلمية حتى وصل إلى كرسي الأستاذية في علم اللغة واللغات الحديثة[٢].

---

[١] انظر:الشايب، فوزي: **محاضرات في اللسانيات** .عمان وزارة الثقافة ١٩٩٩م ص٣٦٩.وجون ليونز :.**نظرية تشومسكي اللغوية**، ترجمة وتعليق: حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية . ط١ ،١٩٨٥م .ص ١١ــ١٢ ، وبرهومه، عيسى:**مقدمة في اللسانيات** ، عمان، دار المطبوعات والنشر ط١ ،٢٠٠٥ م ص١٨٤. وبوقره، نعمان: **اللسانيات العامة(اتجاهاتها وقضاياها الراهنة)**، اربد:عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،٢٠٠٩ ،ص١٢٩. و مونان، جورج :**علم اللغة في القرن العشرين** ، ترجمة نجيب غزاوي، ص ١٩٤.

[٢] ليونز، جون: **نظرية تشومسكي اللغوية**. ص ١١.

وقد حصل تشومسكي على عدة درجات فخرية من جامعات ومعاهد مختلفة منها : حصوله على درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة شيكاغو عام ١٩٦٧م ، وفي العام نفسه حصل على مثل هذه الدرجة من جامعة لندن، وفي عام ١٩٧٠م منحته جامعة دلهي درجة الدكتوراه الفخرية، وفي عام ١٩٧٣م حصل على نفس الدرجة من جامعة مساتشوستس[١].

ومن العلوم التي أطلّع عيها ودرسها (النحو العربي)، وقد صرح بذلك في قوله: "قبل أن أبدا بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، وما زلت أذكر دراستي لأجرامية منذ عدة سنوات خلت ـ أظن أكثر من ثلاثين عامًا ـ وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ فرانز رونتال ..وكنت وقتذاك طالبًا في المرحلة الجامعية أدرس في جامعة بنسلفانيا ،وكنت مهتمًا بالتراث النحوي العربي والعبري "[٢].

وتأثر تشومسكي بمجموعة من العلماء لا سيما من عاصره منهم ، وأكثر هؤلاء تأثيرًا فيه "زيلج هاريس " الذي يعد السباق إلى الحديث عن القواعد التحويلية التي تبناها تشومسكي لاحقاً، لقد أثرت مؤلفات تشومسكي المكتبة اللسانية، وأفادت اللسانيين في مجالات عدة، ولم يحض أحد من علماء اللغة المعاصرين بتلك المكانة من قبل، وقد جسد تشومسكي أفكاره وأبحاثه اللغوية في مقالات، وكتب نشرها في أزمنة متقاربة ومنها :

البنى التركيبية أو التراكيب النحوية les structures syntaxiques

ملامح النظرية التركيبية aspect de la structure syntaxigue

اللسانيات الديكارتية la linguistiquecartesienne

اللغة والفكر la langue et la pensee

وبهذه المكانة العلمية التي حظي بها تشومسكي صارت له شهرة وشعبية،

[١]) زكريا، ميشال: **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية** (**النظرية الألسنية**)،بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط،١، ١٩٨٢م ،ص٩.و ليونز: **نظرية تشومسكي اللغوية**، مصدر سابق، ص٩.

[٢]) ليونز: **نظرية تشومسكي اللغوية**، مصدر سابق، ص١٣٠.

والحقيقة أن هذه الشهرة لا ترجع إلى ما أنجزه في حقل علم اللغة ، أو إلى أثره في بعض مناهج العلوم الأخرى فحسب ، وإنما ترجع ـ أيضًا ـ إلى أنه أصبح معروفاً على نطاق واسع باعتباره من أكثر الناس صراحة في نقد السياسة الأمريكية في فيتنام ، ومن ثم أصبح "بطل اليسار الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كرّس الكثير من أعماله للدفاع عن حقوق الشعوب المغلوبة على أمرها، في فيتنام ، وفي فلسطين ، وفي بنما ...فقد ألف مثلًا ما يزيد على ستين كتاباً، ومقالة دافع فيها عن الحقوق العربية الفلسطينية المستباحة، وأبرز من خلالها أوجه نفاق السياسة الأمريكية، المنحازة والمحابية للكيان الصهيوني[١].

أهم المبادئ التي قامت عليها نظرية تشومسكي

قامت نظرية تشومسكي على مبدأين كبيرين، لهما وجود في اللغات الإنسانية كافة، هما: التوليد Generation، والتحويلTransformation وبهما سميت هذه النظرية [٢].

فالتوليد:هو انبثاق تركيب أو مجموعة من التراكيب،من جملة هي الأصل. وتسمى الجملة الأصل بالجملة التوليدية،وأهم وصف للجملة التوليدية أنها الجملة التي تؤدي معنى مفيدًا، مع كونها أقل عدد ممكن من الكلمات،ومع كونها أيضًا خالية من كل ضروب التحويل،ومثال ذلك "حضر طارق"جملة توليدية،والتحويلية مثل"طارق حضر"،فالمثال الأول جملة توليدية،لأنها أقل عدد من الكلمات،والمثال الثاني جملة تحويلية على قول من يرى أن فيها تقديما وتأخيرًا، وهما من وجوه التحويل،وعلى قول من يرى أنها اسمية لم تكن توليدية؛لأنها ليست أقل عدد من الكلمات، فهي مركبة من جملتين،جملة المبتدأ والخبر،والجملة الفعلية "حضر طارق".

١) انظر: ليونز،جون: **نظرية تشومسكي اللغوية**، ص٣٥.

٢) استيتيه، سمير:**اللسانيات : المجال ، والوظيفة ، والمنهج** .عالم الكتب الحديث .اربد، جدارا للكتاب العالمي ،عمان، ط ٢ ،٢٠٠٨ م ، ص ١٧٨ .

وأما التحويل فيجري باشتقاق جملة أو مجموعة من الجمل من جملة تسمى النواة kernel sentence مثل" حفظ طارق القصيدَةَ " ،هذه الجملة مثبتة مبنية للمعلوم وعند تحويلها إلى جملة مبني فعلها للمجهول تصبح "حُفظِت القصيدةُ "،ويكون التحويل حدث على النحو الآتي :

١ـ الفعل + مورفيم البناء للمعلوم + اسم + اسم .

٢ـ الفعل + مورفيم البناء للمجهول + اسم

المفاهيم الأساسية التي قامت عليها نظرية تشومسكي

قامت نظرية تشومسكي على مفاهيم أساسية هي :

١ـالكفاية اللغوية والأداء الكلامي:

ينطلق تشومسكي من نظرته للقواعد باتجاه التمييز بين ما يسميه بالكفاية اللغوية والأداء الكلامي، ويظهر هذا بوضوح في كتابه "ملامح النظرية التركيبية "حينما نظر إلى هذه المسألة نظرة عقلية خالصة، فوجد أن اللغة تتكون من وجهين: ذهني محدود وسماه الكفاية،وعملي منطوق سماه الأداء.

فالكفاية اللغوية كما حددها تشومسكي: هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة وهي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة،وتوصف بأنها ملكة لا شعورية وتعزى إلى منطقة اللاوعي عند الإنسان،في حين أن الأداء الكلامي هو استعمال هذه المعرفة في عملية التكلم، وهو عرضة للتغيّر حسب مستويات الأفراد ودرجات إنتاجهم أو صحتهم وعلتهم أو اضطراباتهم النفسية التي تتداخل مع العوامل اللغوية في عملية إنتاج الكلام[١]. وقد أسماها عبد القاهر الجرجاني (مقتضى العقل)[٢].

ويؤكد تشومسكي أننا نحن البشر نصوّر كلامًا، فنحن نقوم بعملية إبداع لا حصر لها، وأن كل شخص يستطيع أن يفهم كل ما يبتدعه من الكلام، في علم العروض مثلًا المصطلحات محدودة ، لكن لو حصرنا كل ما يقال في كل محاضرة لوجدنا أن نسبة

---

١) انظر: زكريا، ميشال : **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، بيروت، ط١٩٨٤،١م ، ص١٠٩.

٢) الجرجاني،عبد القاهر: **دلائل الإعجاز** ، شرحه وعلق عليه، محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص ٥٦ .

بسيطة جداً لا تتجاوز ٢٪ يعاد والباقي جمل مبتدعة باستمرار ، وهذه قدرة موجودة عند جميع البشر ، وهذا ما يعرف بالنحو العالمي.

والكفاية عند تشومسكي صفة للفرد؛ إذ هي معرفة المتكلم والسامع للنظام اللغوي، وعليه فإن لهجة الفرد بالنسبة لتشومسكي، كما هي بالنسبة لأسلافه الأمريكيين أيضًا هي الأساس، أما لغة المجتمع الأوسع فمفهوم ثانوي، لأنها لا تزيد على كونها طريقة مناسبة للإشارة إلى عدد كبير من الكفايات اللغوية الفردية المتشابهة إلا في بعض التفاصيل الثانوية . والأمر عند سوسير على العكس من ذلك؛ فاللغة عنده لا توجد على نحو كامل إلا ضمن الشعب ككل، فلا تكون كاملة في ذهن أي فرد مهما كانت ذخيرته وخبرته اللغوية[١].

يلاحظ أن تشومسكي ركز على الكفاية لأنها تسبق الأداء وجوداً، وهي التي تولده أيضًا. فالأداء يفترض وجود القدرة سلفًا ، في حين لا تفترض القدرة وجود الأداء،لأنه شيء ثانوي.

وقد ظهر مصطلحا الكفاية والأداء في وقت متأخر نسبيًا في اللسانيات التشومسكية، وكان ذلك عام ١٩٦٥م في كتابه: أوجه النظرية النحوية، ويعد ظهور مثل هذا المصطلح حدثًا مهمًا من وجهة نظر معرفية ؛ لأنها كانت ردًا على النزعة الشكلية البلومفيلدية التي كانت مسيطرة في محيط وزمن كان فيه شيئا معيبًا القبول بوجود أي شيء مجرد في المخ حين يكون مركز عملية لغوية[٢].

٢ـ المقدرة الفطرية عند الإنسان ومراحل اكتساب اللغة عند الطفل

يعتقد تشومسكي أن الإنسان يتمتع منذ ولادته بقدرات فطرية،تمكنه من تقبل المعلومات اللغوية ، وعلى تكوين بُنى اللغة خلالها،وهذا يعني أنه مهيّأ بطريقة أو بأخرى لأن يكوّن قواعد لغته الأم من خلال الكلام الذي يسمعه،وأن يمتلك بطريقة لا شعورية القواعد التي تكمن ضمن المعطيات اللغوية التي يتعرض لها .فهو يبني لغته بصورة إبداعية،وبالتوافق مع قدراته الفطرية،بقدر تقدمه في عملية

[١] الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص٣٧٥.

[٢] المصدر نفسه، ص٣٧٦.

الاكتساب،وتتوقف عملية الاكتساب هذه على طبيعة نمو الطفل اللغوي[١].

وتذهب النظرية إلى أبعد من ذلك إذ ترفض اعتبار ذهن الطفل صفحة بيضاء تتلقى مثيرات البيئة بل بخلاف ذلك، تنظر إلى ذهن الطفل نظرتها إلى آلية مبرمجة مزودة بمعلومات معينة هيأتها الطبيعة البشرية لإتمام عملية تعلّم اللغة[٢].

ويرى تشومسكي أن الطفل يملك بالفطرة مجموعة فرضيات مجردة يطبقها على المعطيات اللغوية التي يتعرض لها،ويملك بالفطرة أشكالًا مجردة لقواعد يمكنه امتلاكها عبر استيعابه لمعطيات لغته،وهو قادر بصورة لا شعورية أن يصوغ عددًا غير محدود من الفرضيات التي تنص على كيفية إنتاج الجمل وتفهمها وتكونها،يسمع الطفل بعدها مقاطع لغته التي سيكتسبها.[٣]

ويكتشف تدريجيًا أن بعض هذه الفرضيات التي صاغها لا تتوافق مع معطيات اللغة،وبعضها الآخر يتوافق، فمن المتوقع أنه سيتوصل إلى أن يقبل بصورة لا شعورية كل الفرضيات التي تتيح له اعتماد التفسيرات الصحيحة حول جمل لغته،وفي هذه المرحلة يكون قد أمتلك قواعد لغته[٤].

وتعد قضية فطرية اللغوية القضية الأكثر عمقا في التفكير التشومسكي التي تهدف إلى إعطاء جواب مقنع عن السؤالين الآتيين:

الأول : لماذا يستطيع الأكثر غباء من الناس الكلام في حين لا يتمكن من ذلك أذكى القرود؟

الآخر:كيف نفسر قدرة المتكلم على الإنتاج والفهم الفوري لجمل جديدة لم يسمع بها من قبل؟

---

[١] زكريا، ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**، بيروت، ط ا،١٩٨٠م، ص ٢٦٢

[٢] انظر: زكريا، ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث**، ص ١٣١ .

[٣] غازي، يوسف: **مدخل إلى الألسنية**، دمشق، ط١٩٨٥،١، ص٣٠٠.

[٤] المصدر السابق، ص٣٧٩.

والجواب:أن الطفل يمتلك منذ ولادته آلية فطرية يسميها تشومسكي وسيلة الاكتساب اللغوية وهذه
الوسيلة ما هي إلا مكون واحد من الجهاز الكلي للبنى العقلية،أي أن ملكة اللغة هي مجرد ملكة واحدة من ملكات العقل[١].

٣- انتقاد المذاهب السلوكية :

يصف تشومسكي المذاهب السلوكية بأنها مذاهب تبسيطية تجعل الإنسان شبيها بالآلة، فاللغة من منظار هذه المذاهب هي مجموعة عادات صوتية يكيفها حافز البيئة. فالمتكلم عندما يشعر بشعور معيَّن، أو يسمع جملة معيَّنة، فتتولد عنده استجابة كلامية دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأي شكل من أشكال التفكير.

يرفض تشومسكي هذه المبادئ التي لا تفرّقبين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني؛ بل يذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ يؤكد أن اللغة هي التي تميز الإنسان عن الآلة وعن الحيوان. ويؤكد- أيضًا أن اللغة هي في الواقع غير خاضعة لأي حافز، وتتسم بخصائص مميزة، رافضًا اعتبار عملية الاكتساب في مجال اللغة نتيجة تأثير المحيط على الطفل[٢].ويتبين لنا أن بعض المفاهيم السلوكية غامضة، ولا تأتي بأية فائدة إلى مجال إدراكنا للقضايا التي يقوم عليها السلوك كونها لم تنظر إلى الجانب العقلاني للظاهرة اللغوية، وهذا ما دفع تشومسكي إلى القيام بخطوة جريئة تكفل نقل اللسانيات من طور الوصفية إلى طور النظرية .

٤- العودة إلى أصول الفلسفة العقلانية :

تأثر تشومسكي بآراء الفلسفة العقلانية، التي سادت في القرن السابع عشر، على يد الفيلسوف (ديكارت)، وحاول تشومسكي في نظريته الألسنية، إحياء بعض المفاهيم التقليدية العائدة إلى القواعد الفلسفية، وقد أشار إلى المغالطة التي وقع فيها الألسنيون البنيانيون، عندما ابتعدوا بدافع من تصورهم اعتماد المنهجية العلمية الموضوعية عن المبادئ الفلسفية المتأثرة بفكر ديكارت،

---

١) الشايب، **محاضرات في اللسانيات**، ص٣٧٩.

٢) انظر: زكريا، ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث**،ص ٢٦٥-٢٦٦. **ومباحث في النظرية الالسنية وتعليم اللغة**،ص١٤٩-١٥٠.

وبعد أن استنفذ تشومسكي معطيات النظرية الخاصة بمبادئ الألسنية البنيوية، دعا إلى ضرورة العودة إلى المسائل التي أثارها من سبقه، وإعادة اكتشافها، وتبنى منطلقاتها العقلانية[١].

وعودة تشومسكي إلى المبادئ الديكارتية ليست في الحقيقة نابعة عن رغبة لديه في إحياء القديم،أو التمسك بالتقليد، وقد يكون تطور الألسنية الذاتي هو الذي قاده باتجاه الإقرار ببعض المفاهيم الفلسفية الأساسية، بعد أن ابتعدت الألسنية البنيانية عنها،وتحتل القضايا الفلسفية زاوية أساسية في تفكير تشومسكي،وما يثبت ذلك أن النظرية التوليدية التحويلية تقوم على اعتماد المبادئ العقلانية[٢].

٥ـ تجاوز الألسنية البنيانية:

انتقد تشومسكي قصر نظر البنيايين وضعف همتهم بوقوفهم عند المستوى السطحي للكلام أي الأداء؛ للوصول إلى العناصر الأساسية(الفونيمات والمورفيمات)، وعدم الغوص في المستوى العمقي، وعدم مراعاة وجود التحويل،وإهمالهم بصورة أساسية التنظيم الكلامي الذي يدعوه بقواعد اللغة التوليدية،فالبنيايون لا يحاولون تفسير الكلام؛ بل لا يبحثون في مسار عملية التكلم،ولا في آليتها الكامنة ضمن المظهر الإبداعي في استعمال اللغة.

أما النحو فلم يمسوه إلا مسّا خفيفًا،فكانت غايتهم تصنيفية قوامها ضبط الصيغ الأساسية في اللغة حسب درجة التواتر، وعند حدّ التصنيف وضح تشومسكي أن القواعد الوافية على نحو كاف بالمراد يجب أن تغزو إلى كل جملة من العدد غير المحدود للجمل وصفًا بنيويًا يوضح كيف تفهم هذه الجملة من قبل المتكلم والسامع المثالي[٣] .

٦ـ الكليات اللغوية وتنوع اللغات:

يرى تشومسكي أن الطفل يتناول مادته اللغوية في مرحلة اكتسابه اللغة، من لغة

---

١) انظر: زكريا، ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**، ص٢٦٦.

٢) ميشال زكريا: **الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**، ص٢٦٦– ٢٦٧.

٣) انظر: برهومه، عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص١٦٨.

وانظر: **الألسنية علم اللغة الحديث**، ص ٢٦٨.

كلية محددة، فيقتصر عمله على تحديد لغته من ضمن مجموعة اللغات المحتملة، أو ما يمكن تسميته"اللغة الكلية "،وينص تشومسكي على ثلاثة أنواع من الكليات اللغوية[١]:

النوع الاول: الكليات الجوهرية: وتتكون هذه الكليات الجوهرية من مجموعة فئات مثبتة، تؤخذ منها العناصر الخاصة بكل لغة.

النوع الثاني: الكليات الصورية: وهي عبارة عن الشروط أو الضوابط، أو القوانين المشتركة بين اللغات.

النوع الثالث: الكليات التنظيمية: وتقوم بإظهار الطريقة التي تنتظم بها قواعد كل مستوى من مستويات اللغة، وتقوم بتبيين إجراء القوانين في كل مستوى نسبة إلى المستوى الآخر، ونسبة إلى قوانين من نوع آخر، كما أنها تقوم بتحديد تداخل العلاقات بين القواعد فيها بينها.

فالكليات الجوهرية تختص بالمفردات المختصة بوصف اللغات، والكليات الصورية تتناول خصائص القوانين المؤلفة لقواعد اللغة، والكليات التنظيمية تتناول كيفية القوانين بعضها ببعض، وعلاقات المستويات اللغوية بينها.

٧ـ البنية السطحية والبنية العميقة :

يعتمد تشومسكي مستويين لدراسة جمل اللغة، فيميز بين البنية السطحية، فيرى أنها البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلم، وبين البنية العميقة بمعنى القواعد التي أوجدت هذا التتابع، وهي التي تتمثل في ذهن المتكلم[٢]، والعلاقة بينهما تعد محورًا مهمًا لتحليل بناء الجملة، وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساس تعدد الأبنية العميقة لها،فإذا قلنا:قراءة الشاعر ممتعة،فهنا أحد أمران:أحدهما يتعلق بقراءة الشاعر بصوته،وثانيهما يتصل بقراءتنا لشعره هذا التعدد في فهم التركيب في البنية السطحية هو انعكاس لتركيبه في البنية العميقة [٣].

---

١) انظر: زكريا،ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**، ص٢٦٣ــ٢٦٥. **والألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية**، ص٨٧ .

٢) زكريا، ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**، ص٢٦٧.

٣) برهومه، عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص ٢٠٥.

ويؤكد تشومسكي على أن البنية السطحية والبنية العميقة مختلفتان بقوله:"نميز بين بنية الجملة السطحية أي ترتيب الجملة في فئات، وفي أركان والذي يقترن مباشرة بالإشارة الفيزيائية، وبين البنية العميقة الضمنية أي ترتيب الجملة أيضًا في فئات وأركان إلا أن طابع البنية العميقة أكثر تجريدا "[1].

يتضح لنا أن البنية العميقة أساسية لفهم الكلام، وإعطاءه التفسير الدلالي كونها مرتبطة

بالدلالات اللغوية،في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية المتتابعة.

سنقف الآن على العلاقة بين التوليد والبنية العميقة من جانب، والتحويل والبنية السطحية من جانب آخر، أما البنية العميقة فلها صورتان في التحقق الذهني:

أولاهما :أن يكون لها تحقيق مادي موجود في الاستعمالات اللغوية،كما هو الحال في أقل عدد ممكن من الكلمات تؤدي معنى مفيدًا،مثل:"الكتاب جديد"وتكون هذه الجملة

١ـبنية عميقة ٢ـتوليديةباعتبارها أساسًا لكل ما يشتق منها.

طوفي الحالتين لا بد أن تتوافر فيها أربع صفات هي:

١. أنتكون جملة بسيطة غير مركبة.
٢. أن تكون مبنية للمعلوم.
٣. أن تكون مثبتة.
٤. أن تكون تقريرية لا إنشائية .

ثانيتهما : ألا يكون للبنية العميقة تحقق منطوق،مثال عندما تقول "هذا مرفوض"،فالمعنى هو شيء ما +أشير له +وصف إخباري "مرفوض".

وتكون هذه هي البنية العميقة،أما جملة "هذا مرفوض"المنطوقة فإنها بنية سطحية بهذا الاعتبار ، وعلى الرغم من هذا،فإن جملة "هذا مرفوض "جملة توليدية لا تحويلية .

وهكذا تكون العلاقة بين التوليد والبنية العميقة مضطربة بعض الشيء،وكذلك العلاقة بينهما وبين التحويل والبنية السطحية، وقد دفع هذا الاضطراب تشومسكي إلى عدم التركيز على البنية

[1]) زكريا، ميشال: **الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام**، ص١٦٣.

العميقة في المراحل اللاحقة من مراحل بناء النظرية[1].

تشومسكي وجهوده النحوية

إن الدارس للنحو التوليدي غالبًا ما يعاني كما يقول (بالمر)من الإحباط والحيرة؛ وذلك لأن هذه النظرية مزيج غريب من نفاذ بصيرة رائع تمامًا،ووسائل فنية معقدة غالبا ما تبدو اصطناعية[2].

وقد ظهرت أول جهوده النحوية في كتابه (البنى التركيبية) ١٩٥٧م،حيث عرض في هذا الكتاب ثلاثة نماذج من القواعد، وهي

١- نموذج قواعد الحالة المحدودة Finite State Grammar

يعد هذا النموذج من أبسط النماذج النحوية،وفيه يتم توليد عدد غير محدود من الجمل بواسطة عدد محدد من القواعد المتكررة التي تعمل من خلال عدد محدود من المفردات،وهو يقوم على مبدأ يقول بأن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختبارات تبدأ من اليسار إلى اليمين(في الإنجليزية)ومن اليمين إلى اليسار(في العربية)ويكون للجملة نقطة بداية، وأخرى نهاية،والعنصر الذي يشكل نقطة البداية يثير الكلمات التي يمكن أن تقع في جوار سياقي معه،ويقوم المتكلم باختيار الكلمة المناسبة، وهذه تقوم بدورها بدور المثير للكلمات التي يمكن أن تقع في جوار سياقي معها، فيختار المتكلم ما يناسبه.وتوضيح ذلك في النموذج الآتي[3]:

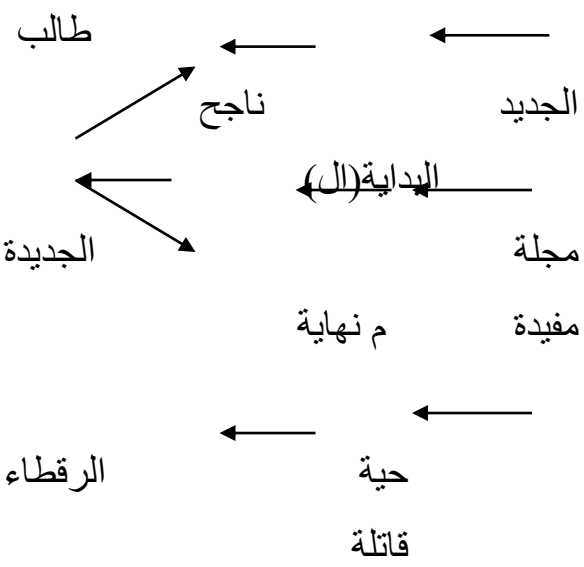

[1] استيتيه، سمير: **اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج**، ص١٨٠-١٨١.

[2] مونان، جورج: **علم اللغة في القرن العشرين**، ص ١٩٦.

[3] انظر: ليونز، جون: **نظرية تشومسكي اللغوية**، ص٢٠١.

فالعنصر الذي يمثل البداية (ال) يثير الكلمات التي يمكن أن تقع في سياق معها مثل:طالب ،مجلة، حية... وكل واحدة من هذه تثير ما يناسبها وهكذا. وقد شبه تشومسكي المتكلم في إنتاجه للجملة على هذا النحو بالآلة التي تتحرك من خلال عدد محدود من الحالات الداخلية من البداية حتى النهاية[١].

يلحظ مم سبق أنّ هذا النموذج محدود الفاعلية،فهو لا يصلح إلا لبعض الجمل البسيطة،ومن ثم كان قاصرًا وغير مقبول؛لأنه يفشل في توليد جمل مثل:(الرجل الذي يقود السيارة يعمل في الجامعة)،فإذا كان هناك ارتباط بين(الرجل)والاسم الموصول(الذي)،وبين الاسم الموصول والفعل (يقود)، وبين هذا الفعل والسيارة،فإن السيارة لا تستدعي الفعل (يعمل) بعدها،لأن هذا الفعل على علاقة (بالرجل)في بداية الجملة المفصولة عنه بأربع كلمات[٢].

وقد وضح تشومسكي أنه ليس صعبا فحسب،بل من المستحيل منطقيًا اتخاذ هذا النموذج كوسيلة لإنتاج كل الجمل القواعدية للغة الإنجليزية مثلًا[٣].

٢ـ نموذج قواعد بنية العبارة(Phrase (PS Structure Grammar

نظرًا إلى قصور نموذج الحالة المحدودة طرح تشومسكي هذا النموذج،ووصفه بأنه أكثر قوة وفعالية من النموذج الأول،وأكثر تلاؤمًا في وصف اللغات الإنسانية من سابقه،ويتكون هذا النموذج من عدة قواعد،ويمكن أن نطبقها على المثال الآتي: (الولد أكل الطعام)[٤]

- القاعدة الأولى: الجملة المركب الاسمي + المركب الفعلي .

---

[١] برهومه، عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص ١٩٧.

والشايب : **محاضرات في اللسانيات**، ص ٣٨٣ .

[٢] انظر: ليونز، جون: **نظرية تشومسكي اللغوية**، ص١٠٣-١٠٩.

[٣] انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٨.

[٤] انظر: ليونز، جون: **نظرية تشومسكي اللغوية**، ص ٢٠١

- الولد أكل الطعام الولد (مركب اسمي) +أكل الطعام (مركب فعلي).

- القاعدة الثانية: المركب الاسمي أداة التعريف + اسم الولد ال = ال+ولد.

- القاعدة الثالثة: المركب الفعلي الفعل + مركب الاسم.

- القاعدة الرابعة: أداة التعريف ال.

-القاعدة الخامسة: الاسم (ولد، طعام، ...).

- القاعدة السادسة: (أكل، درس، ...).

ويمكن التعبير عن ذلك بوساطة التحليل الشجري الآتي:

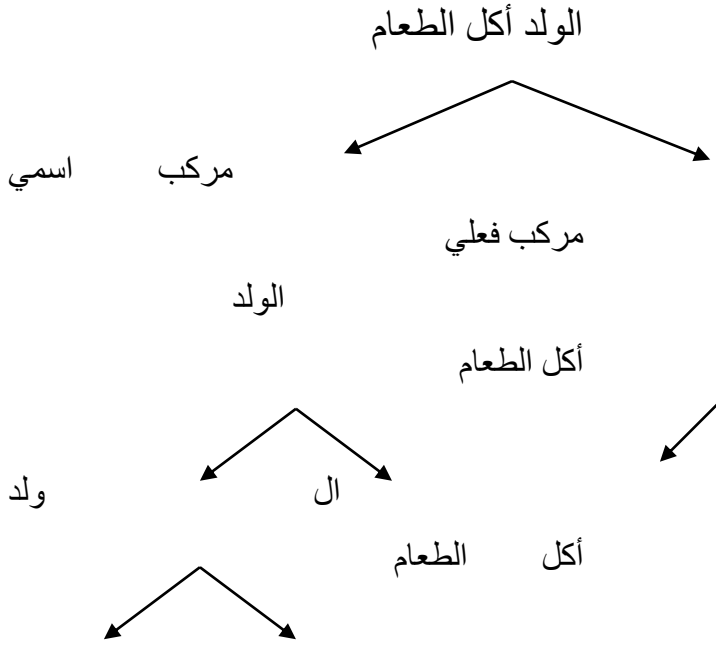

ال طعام

هذا نموذج بسيط لقواعد بنية العبارة التي تولّد، وتحدد، وتشكل نظامًا متكاملًا، وتقسم إلى قسمين: منها ما يتعلق بالنحو؛ لأن النحو يدلنا على أن الجملة تحلل إلى مكون اسمي، ومكون فعلي، وأن المكون الفعلي يتكون من فعل + مكون اسمي. ومنها ما يتعلق بالمعجم؛ لأن المعجم يعرفنا أن كلمة أكل فعل، وأن كلمة طعام اسم، وأن ال أداة [1].

يتضح لنا أن هذا النموذج لا يصلح لتوليد الجمل التي حصل فيها تقديم أو تأخير، أو الجمل المكونة عن طريق العطف،كونه قائم في الأساس على تحليل المكونات المباشرة .

٣- نموذج القواعد التحويلية (TG) Transformational Grammar

بسبب قصور نموذج قواعد بنية العبارة، وعدم كفايته كان لابد من إجراء بعض التعديلات والتحسينات عليه، وكان الحل يتمثل باستخدام التحويلات، ثم

[1] انظر، بوقره، نعمان: **اللسانيات العامة (اتجاهاتها وقضاياها الراهنة)**، ص١٤٣- ١٤٤

أصبحت القواعد التوليدية تسمى القواعد التوليدية التحويلية، وقد أدى إلى اهتمام علماء النفس بابتكار نماذج للسلوك اللغوي مبنية على نظرية تشومسكي اللغوية إلى ظهور حقل جديد هو علم النفس اللغوي، ونظرًا لأن تشومسكي منذ بداية طرحه لنظريته يؤكد أن هدف النظرية اللغوية يجب أن يكو[illegible] متحد[illegible] على إنتاج أو [illegible] الجمل الممكنة [illegible].

وقد لا تبدو القواعد التحويلية التي اشتق منها اسم النحو التحويلي أكثر من أداة نحوية غامضة إلى حد ما، مهمّتها توليد جمل معقدة، لكن هذه القواعد تتمتع بتسويغ منطقي أكثر من ذلك؛ وهي أن لكل جملة بنية سطحية وبنية عميقة، وحجة تشومسكي في ذلك أنه من المستحيل الإتيان بقواعد تطابق أو تماثل كفاية المتحدث الأصلي للغة في علاقات المعنى عن طريق النظر فقط إلى البنية السطحية للجمل أي الترتيب الذي تظهر به الكلمات في الجمل[1].

ويؤكد ذلك على أنّ القانون التحويلي يعمل على تحويل التركيب الباطني المجرد إلى تركيب ظاهري محسوس بتحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية على النحو الآتي:

بنية عميقة ← تحويلات ← بنية سطحية

وهذا الشكل يوضح باختصار عمل القواعد التحويلية:[2]

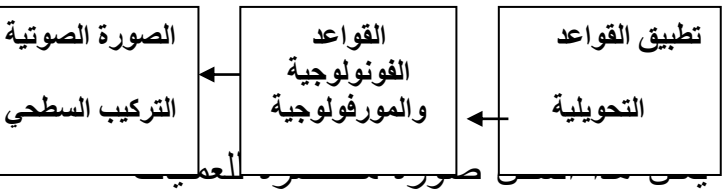

[illegible] صورة [illegible] للعمليات التحويلية لأي جملة،حتى تنتهي إلى صورة الفونيمية المنطوقة حيث تمثل العناصر الأولية للبنية العميقة لعدد من الجمل مثل :

١ـ أكل الولد الطعام .

٢ـ الولد أكل الطعام .

٣ـ الطعام أكله الولد .

فالعناصر الأولية المكونة لهذه الجمل جميعا هي عبارة عن مجموعة قواعد مجردة،بالإضافة إلى وحدات معجمية، وهي تمثل المادة الأولية أو المكون الأساسي لهذه الجمل الثلاث التي تظهر بعد قواعد التركيب أو التكوين التي يمثلها الصندوق

[1]) برهومه، عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص٢٠٠

[2]) انظر: برهومه، عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص٢٠٠

الثاني،وهو ما يظهره النموذج الثاني من القواعد التي وضعها تشومسكي ما يعرف باسم نموذج قواعد تركيب أركان الجملة.

أي أن البنية العميقة لهذه الجمل الثلاث تصبح على النحو التالي :

الجملة تعريف + اسم +زمن

+ فعل + تعريف + اسم

ثم تأتي المرحلة الثالثة التي يمثلها الصندوق الثالث،وهي تطبيق القواعد التحويلية التي هي عبارة عن مجموعة من القواعد الإجبارية والاختيارية التي تتبدل بها أركان الجملة .

أما الصندوق الرابع فيمثل القواعد الفونولوجية والمورفولوجية التي تتألف منها الوحدات اللغوية ،أي بعبارة أخرى فإن هذا الصندوق يمثل القواعد التي تحول كل جملة من الجمل التي أظهرتها القواعد التحويلية من صورتها التركيبية كسلسلة مكونة من مورفيمات حرة،أو مورفيمات مقيدة إلى الصورة الفونولوجية،وأخيرًا يمثل الصندوق الخامس الصورة الصوتية للجملة،أي التركيب السطحي الذي تنطق به.

والتحويلات على أنواع أهمها:[1]

١. الحذف :بأن نحذف جزءا من أركان الجملة، ومثال ذلك: البنية العميقة:

كسر طارقُ الزجاجَ.

البنية السطحية:كُسِر الزجاجُ

تم حذف الفاعل.

ويعبر عن ذلك: أ + ب أ /

أصبحت" ب" غير متضمنة" أ ".

٢. الإحلال أو الاستبدال : أدرست ؟

نعم

أدوات الجواب نطلق عليها أدوات الإحلال، ويعبر عن ذلك : أ

ب

٣. الزيادة : مثال :جاء هاشم وطارق

.

ويعبر عن ذلك : أ أ+ ب /

حيث إن "ب" غير متضمنة "أ ".

٤. التوسعة : مثال: قرأت الكتاب نصفه.

ويعبر عن ذلك : أ أ +ب /

حيث إن "ب " متضمنة" أ ".

[1]) انظر: برهومه، عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص٢٠٢.

٥. التقديم والتأخير: مثال: القدس في القلب أو في القلب القدس.

ويعبر عن ذلك:أ + ب

ب+ أ .

٦. الجمع: مثال: التفاحة أكلها طارق، وهي متحولة من جملة" أكل طارق التفاحة"(وهنا تم إضافة ضمير).

ويعبر عن ذلك: أ أ + ب

تطور النظرية:

مرت النظرية التوليدية التحويلية بمراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه،وكان تشومسكي يغير منهجه في كل مرحلة من هذه المراحل:

مرحلة البنى التركيبية ١٩٥٧م

كان تشومسكي عند بداية وضع النظرية مهتمًا بتحليل ثلاثة مكونات للتراكيب اللغوية هي:

١ـ المكون التوليدي أو النحو التوليديّ :

يرتبط مفهوم التوليد بالإبداعية اللغوية،فمتكلموا اللغة يولدون الجمل الممكنة وفق قواعد اللغة دون شعور منهم بتطبيق القواعد النحوية، فهي راسخة في أذهانهم،كما أن التوليد يوسع من دائرة الإنتاج الكلامي فليس المنتج محصورًا في ما سمع فعلًا بل فيما يمكن أن يتلفظ به مستقبلًا[١]،وقد يوصلنا هذا المنهج إلى وسيلة من وسائل التعرف على طبيعة العلاقات التي تحكم المفردات والجمل، وهذا المكون يجعل البنية العميقة أساسًا في توليد التراكيب اللغوية، وبمقتضى هذه النظرية فإن القواعد التفريعية تجعل البنى السطحية فروعًا للبنى العميقة، ولا يستطيع الباحث أن يفعل ذلك في معزل عن المعاني المعجمية للألفاظ.

٢ـ المكون التحويلي :

يعني به القواعد التي يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى،وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة والإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى عن طريق الحذف أو إعادة الترتيب إلى أخره.

فالقواعد التحويلية تكمن مهمتها في تحويل عدد كبير من الجمل انطلاقًا من البنية العميقة، وبعبارة أبسط وظيفتها الربط

---

١) انظر: زكريا، ميشال: **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، ص١٠٧ .

بين البنية السطحية والبنية العميقة وتتم عملية التحويل وفق نمطين من القواعد: قواعد جوازية اختيارية،و قواعد وجوبية[1].

وهذا يعني أن أهمية القواعد التحويلية متجلية في قدرتها الذاتية على تفريع الجمل من خلال العلاقة التي تتبدى في ضوء ما تقدمه هذه القواعد من إجراءات تفسيرية تحويلية.

لقد اكتسبت القواعد التحويلية أهمية في نموذج تشومسكي اللساني فهي في نظره قادرة على وصف كل الجمل،وإبراز الفروق الدلالية بينها بإزالة اللبس الذي يكتنفها في كثير من الأحيان في مستويي البنية السطحية والعميقة عاكسة بذلك حدس ابن اللغة.[2]

٣ـ المكون الصوتي الصرفي:

ويدل على المباني الصرفية المختلفة، باعتبار التأثيرات الصوتية في تكوينها، ولم يعرض تشومسكي لدلالة التراكيب في هذه المرحلة؛ فقد اكتفى بالحديث عن الدلالة المعجمية والصرفية.

مثال: فعل +حركة

فعل .

كتب + فتح كتبَ

.

فعل +ملحقات فعل

(في شكله الأخير)

كتب +وا كتبوا

ويمكن أن نلخص ما جاء به تشومسكي في مرحلة البنى التركيبية، في المشجر الآتي[3]:

[1] انظر: زكريا، ميشال:**مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، ص١٠٧.

[2] بوقره: نعمان: **اللسانيات العامة**، ص١٤٦.

[3] استيته، سمير: **اللسانيات**: اللسان والوظيفة والمنهج ، ص ١٨٢.

وفي هذه المرحلة نجد أن تشومسكي كان معنيًا بالجانب النحوي والصرفي، ولكنه لم يعرض لقضية المعنى من قريب أو بعيد، فعمله كان امتدادًا للنزعة التوزيعية بقدر ما كان مناهضًا لها،فإهمال المعنى في هذه المرحلة من النحو التحويلي إنما هو تقليد موروث من اللسانيات البلومفيلية التي ترى أن من الممكن وصف النحو دون اللجوء إلى المعنى[1]، وهذا يعني أن نظرية النحو التحويلي أحالت في صيغتها المبكرة الدلالة إلى المستقبل، وقد تسبب هذا في توجيه سهام النقد المؤثر إلى عمل تشومسكي في تلك الفترة، وذلك أنه كان دائما هناك إقرار بوجود ارتباطات نظامية معينة بين النحو والدلالة، وكانت المقترحات الأولى الداعية إلى اتحاد النحو والدلالة ضمن الإطار التشومسكي قد قدمت من قبل كاتز وفورد وشعارهما المشهور يوضح ذلك (الوصف اللغوي ناقص النحو يساوي الدلالة)[2]

الخاتمة

بالرغم مما أحدثته نظرية تشومسكي (التوليدية التحويلية) في النحو من ثورة،وبالرغم مما أفادت منه العلوم الأخرى،إلا أنها ظلت معقدة وغامضة في معظم مراحلها ،ويعود السبب إلى أن تشومسكي كان ينظر ويهدم ما يُنظر ثم يضيف قبل أن تكتمل الصورة عنده،وما يميز تشومسكي تقبله للانتقادات التي وجهت لنظريته برحابة صدر، ولكن يظل الفضل لتشومسكي في تبني الدقة والوضوح في العمليات الرياضية،ولعل أي نظرية أو دراسة في اللغة يكون لها جوانبها الايجابية وقد يلابسها بعض المغالطات، ولكن تظل محاولة في الدرس اللساني يقدر لها.

المصادر والمراجع

١ـ استيتيه ، سمير: اللسانيات: المجال، والوظيفة ،والمنهج ، عالم الكتب الحديث ،

[1]) انظر: برهومه،عيسى: **مقدمة في اللسانيات**، ص٢٠٢ .

[2]) انظر: الشايب، فوزي: **محاضرات في اللسانيات**، ص٣٩٦.

اربد، جدارا للكتاب العالمي، عمان ط٢، ٢٠٠٨ م .

٢- برهومه، عيسى: مقدمة في اللسانيات، عمان، دار المطبوعات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م .

٣- بوقره، نعمان: اللسانيات العامة (اتجاهاتها وقضاياها الراهنة)، اربد، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط ١،٢٠٠٩ م .

٤- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه، محمد التنجي، دار الكتاب العربي ،بيروت، ط١، ١٩٩٥م .

٥- زكريا، ميشال: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٢م.

٦: زكريا، ميشال (الألسنية علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام ، بيروت، ط ١،١٩٨٠م.

٧- زكريا، ميشال، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، بيروت ، ط١،١٩٨٤م.

٨- الشايب، فوزي: محاضرات في اللسانيات، عمان، وزارة الثقافة، ١٩٩٩م.

٩- غازي، يوسف: مدخل إلى الألسنية، دمشق، ط١،١٩٨٥.

١٠- مونان، جورج:علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، وزارة التربية والتعليم العالي، سوريا.

١١- ليونز، جون: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية ، ط١، ١٩٨٥ م